علاقة التأليف المعجمي بالتفسير

أ.د. خير الدين سيب
أ. ابن عبد الله واسيني
جامعة تلمسان - الجزائر

ملخص البحث باللغة الانجليزية

The question Andarc Shariah issues default talked about some scientists assets, has disagreed then in Is it permissible diligence evidenced mind the absence of texts, Among those who denounced said prevention Ghazali, who went to that if extended time solutions resurrection to durations so long that disappear and fade away this law, people they do not have to know the terms and in accordance with the improvement and Altaqbih, and who said passport diligence evidence of reason in the absence of texts Imam Abu Ishaq Alasphraina went to they are assigned refer to the pros minds as quoted from him Zarkashi, either before the Holy Jouini has shred in the liberation of the disputed in this matter and the separation of the detailed useful, and this article is trying to study this issue with some of the analysis to determine the difference between the exact diligence interests and the realization of the purposes and the diligence of mind evidence Bmniy texts

تمهيد

إن معاجم اللغة العربية متميّزة، وقد تمَّ تدوينها بعد نزول القرآن، وهى خير دليل على أن اللغة العربية كائن متحرّك تختلف فيها معاني الألفاظ من عصر إلى آخر، ومن مكان إلى آخر.

والمعاجم اللغوية هي خزائن اللغة وكنوزها التي يستخدمها الإنسان بما يغني حصيلته اللغوية وينميها ويجعلها مرنة طيعة في مجالي الأخذ والعطاء، في مجالات الاستيعاب والفهم والتوسع الفكري والنمو العقلي والمعرفي، وفي مجالات التعبير والعمل الإبداعي والإنتاج الثقافي.

ولكن أثر المعاجم ومدى فعاليتها في هذه المجالات عامة، وفي التفسير بشكل الخاص، يتوقّف بصورة أساسية على نسبة استعمالها، ثم على معرفتنا بأنواعها وأشكالها ومناهج تصنيف المفردات بها، وأخيراً على طرق استخدامها وكيفية استغلالها وأوجه الاستفادة منها.

وعلى الرغم من تلك المكانة المتميزة التي تكتنفها المعاجم في الدراسات اللغوية والقرآنية، إلاّ أنه لا يجوز اشتراط فهم القرآن بمعاجم لغوية كانت ترصد حركة اللغة إلى غاية عصرها، ولكن يمكن القول بأن للمعاجم أكبرَ الأثر في التفسير بعد كتب التفسير، لأهميتها في شرح الألفاظ العربية بشكل عام، والتي مِن ضِمنها الألفاظ القرآنية؛ فبها يعرف معنى الكثير من الآيات القرآنية.

وقبل البحث عن هذه المسألة وغيرها، لا بأس بأس أن نتعرّف على المعجم وعلى مناهجه وأهميته وعن النفسير وأهميته.

المطلب الأول: تعريف المعجم ومناهجه

المسالة الأولى: تعريف المعجم

العَجَمُ ضد العَرَبُ، والأعْجَم الذي لا يفصح، وامرأة عجماء بيّنة العُجمة والعجماء البهيمة؛ لأنها لا تتكلم[1]. جاء في الحديث الذي رواه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **جُرْحُ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ**»[2] أي: هدر لا شيء عليها إن أتلفت شيئاً بالنهار أو الليل دون تفريط من مالكها[3].

والعجماء: كل صلاة لا يجهر فيها بالقراءة، ولذلك سميت صلاتا الظهر والعصر بالعجماوين، ويقال للصبي ما دام لا يتكلم ولا يفصح: صبي أعجم.

قال امرؤ القيس:

صَمَّ صَدَاهَا وَعَفَا رَسْمُهَا ... واسْتَعْجَمَتْ عَنْ مَنْطِقِ السَائِلِ

والعُجمة معظم الرمل وأشده تراكماً، سمي بذلك لتداخله واستبهام أمره على سالكه[4].

من ذلك كله يتضح لنا أن مادة « ع ج م » تدل على الإبهام والغموض وخلاف الإيضاح. ولكنا وجدنا اللغويين وأصحاب المعاجم يقولون تعجيم الكتاب تنقيطه كي تستبين عجميته وتتضح، وعلى ذلك فمعنى قولنا أعجمت الكتاب أوضحته وبينته[5].

ومن هنا يظهر لنا التناقض بين المعجم بمعنى الإبهام الكامن في الاستعمالات الأولى، وبين المعجم بمعنى الإيضاح في قولنا أعجمت الكتاب. فما السّر في مجيء الاستعمال الأخير بمعنى مخالف للمعنى الذي تدور حوله مادة «عجم»؟

أجاب عن هذا السؤال أبو عثمان ابن جني فقال: " إن قولهم أعجمت على وزن أفعلت، والهمزة فيه وإن كانت في غالب أمرها إنما تأتي للإثبات والإيجاب، نحو أكرمت زيداً أي أوجبت له الكرامة، وأحسنت إليه أي أثبت له الإحسان، فقد تأتي الهمزة أيضاً يراد بها السلب والنفي، مثل أشكيت زيداً، أي زلت له عما يشكوه"[6].

من ذلك نستنتج أن مادة « عجم » تدل على الإبهام والإخفاء، إلا أن كلمة معجم مشتقة من الفعل "أعجم" المزيد بالهمزة، فأصبح معنى "أعجم" أزال العُجْمة والإبهام. ومن ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [7]، أي: أكاد أظهرها[8].

وعلى هذا الأساس يكون قولنا أعجمت الكتاب معناه أزلت منه استعجامه، كما كان ﴿أُخْفِيهَا﴾ أزيل عنها خفاءها. ونظيره أيضاً أشكلت الكتاب إذا أزلت عنه إشكاله[9].

– اصطلاحا:

المعجم اصطلاحا كتاب يضم كلمات لغة ما، كلها أو جلها، مرتبة ترتيباً خاصاً مشروحة بما يزيل خفاءها وإبهامها، ومضبوطة ضبطاً يبين حركاتها وحروفها مقرونة بما يوضح صيغها، واشتقاقاتها، وكيفية نطقها.

أو هو كتاب يضم ألفاظ اللغة العربية مرتبة على نمط معين، مشروحة شرحاً يزيل إبهامها، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث، وتعين الدارس على الوصول إلى

مراده، أو هو كتاب يضم بين دفتيه أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصا، إما على حروف الهجاء أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبيّن مواضع استعمالها[10].

وقد عرّفه عدنان الخطيب بأنه: " مجموع الثروة العظيمة التي خلّفها علماء العربية، على مدى العصور، فحفظوا لنا لغة العرب، لغة القرآن الكريم، اللغة التي نفخر بها ونَعتَزّ "[11].

فالمعجم هو ذاك الكتاب الذي يحوي كلمات من أي لغة كانت بشرحها ودلالاتها، بالإضافة إلى وجود ترتيب خاص ومنهج متّبع في هذا الترتيب وهذا الشرح والفائدة منهم الحفاظ على اللغة العربية والقرآنم الكريم.

بعدما عرفنا معنى المعجم في اللغة والاصطلاح، أشير هنا إلي أن هناك مصطلحاً آخر اشتهر بين الناس وهو القاموس، ويعنون به المعجم سواء أكان خاصاً باللغة العربية، أم بأي لغة أجنبية، أم كان مزدوج اللغة.

المسألة الثانية: منهج المعجم.

لقد تشعَّبَت للغويين مناهجُهم في إيراد أبواب المعجم؛ فمنهم من اختار جمع المواد حسب الألفاظ مرتبا إياها ترتيبه الخاص، ومنهم من رأى جمع المواد حسب الموضوعات مبوبا لها حسب المعاني، وقد اختلفت طرق الترتيب لدى الطائفتين؛ فذهبت الطائفة الأولى إلى ترتيب الألفاظ على مخارج الحروف[12]، أو على الحروف الهجائية ناظرة إلى الحرف الأول للفظة[13] أو الحرف الأخير لها وتجعله بابا والحرف الأول فصلا[14]، وذهبت الطائفة الثانية إلى إيراد الألفاظ الخاصة بالموضوع المعقود له الباب[15]، والاستشهاد بكل منها أو لبعضها أو إلى إيراد النصوص الشعرية الخاصة بالباب واستخراج الألفاظ وشرحها.

فيمكن أن نستنتج أن العلماء في المعجم سلكوا منهجين:

المنهج الأول: حسب المعاني

جمع مفردات اللغة وتصنيفها بالنظر إلى معانيها فيجمعون الكلمات التي تتعلّق بموضوع واحد في موضعٍ واحد؛ بحيث تكون تلك الكلمات المرتبطة بتلك العلاقة اللغوية مجموعةً في رسالة واحدة، وتُسمّى هذه المؤلفات التي تشتمل على هذه المفردات معاجم المعاني أو معاجم الموضوعات.

المنهج الثاني: حسب الألفاظ

جمع مفردات اللغة وتصنيفها بالنظر إلى ألفاظها، فتُرتّب الألفاظ اللغوية على ترتيبٍ معيّنٍ ينظر إلى الحروف التي تتكوّن منها، سواءً كان الترتيب مبنيّاً على الحرف الأول فالثاني، أم على الحرف الأخير فالأول، أم على أقصى حروف الكلمة مخرجاً ثمّ الذي يليه.

والمعجم الذي بين أيدينا ينتمي إلى المنهج الثاني أي مدرسة التقلبات الصوتية؛ فصاحبنا الأزهري- رحمه الله- اعتمد المنهج الصوتي وسار في على طريقة التقلبات أي تقليب الحروف المكونة للباب.

المطلب الثاني: أهمية المعاجم.

كان الهدف العام من تأليف المعاجم العربية خاصة وكتب اللغة عموما هو حراسةُ القرآن الكريم من أن يقتحمه لحن في النطق أو خطأ في الفهم، وحمايةُ اللغة العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه العربية، وصيانةُ هذه الثروة اللغوية والأدبية من الضياع بموت العلماء ومن يحتج بلغتهم، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية اضمحلالها وما ينشأ عن ذلك من الجهل بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

يقول الأزهري في هذا الصدد: " فعلينا أن نجتهدَ في تعلُّم ما يُتوصَّل بتعلّمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب، ثم السُّنن المبيِّنة لجمل التنزيل الموضّحة للتأويل، لتنتفيَ عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزَّيْغ والإلحاد، ثم على رؤوس ذوي الأهواء والبِدَع الذين تأوَّلوا

بآرائهم المدخولة فأخطأوا، وتكلَّموا في كتاب الله جلّ وعزّ بلكنتهم العجميّةِ دونَ معرفة ثاقبة فضلُّوا وأضلُّوا"[16].

لذلك شمر كثير من العلماء والمفسرين واللغويين ومن بينهم أئمة اللسان وأصحاب المعاجم لذلك، وكتبوا فيه الدواوين وألفوا فيه الكتب، وقامت كل طائفة بفن من فنونه؛ فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته وغير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسموا القرّاء، واعتنى النحاة بالمعرّب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدي ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به...[17].

ولعلّ ابن منظور صاحب المعجم المشهور، لسان العرب، كان موفّقا عندما ذكر أهمية معجمه بقوله في مقدمته: " وليس لي في هذا الكتاب فضيلةٌ أمتُّ بها، ولا وسيلة أتمسَّكُ بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرَّق في تلك الكتب من العلوم..." [18].

ويوضِّح غرضه من هذا العمل اللغوي الضخم فيقول: "فإنِّي لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنَّة النبوية..." إلى أن يقول: "وذلك لما رأيتهُ في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتَّى لقد أصبح اللحنُ في الكلام يُعَدُّ لحنًا مردودًا وصار النطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف الترجُمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية"[19].

يظهر من هذا التعريف أن ابن منظور جعل الهدف من تأليفه المعجم هو حفظ أصول اللغة العربية وحمايتها من اللّحن الذي شاع في زمانه.

ويمكن أن نستنتج أهمية المعاجم وفوائدها كما يلي[20]:

- ✓ معرفة الضبط الصحيح للكلمة بحركاتها وتصريفاتها، وأصل اللفظ، وبيان اشتقاقاته. وجموعها ومصادرها ونحو ذلك.

- ✓ الكشف عن معاني المفردات الغريبة والغامضة، وكذا معرفة الألفاظ والكلمات القديمة التي هجرها الاستعمال.
- ✓ التعرّف على جميع دلالات اللفظ الواحد أو معاني الألفاظ التي لها أكثر من دلالة[21]، فهذا الأمر يجعلنا نتعرف على بعض الظواهر اللغوية، مثل: الاشتراك اللفظي والأضداد...
- ✓ معرفة الألفاظ الفصيحة، وتمييزها عن الألفاظ العامية، وكذلك معرفة تاريخ اللفظ وتطوّر دلالاته، واستعمالاته.
- ✓ معرفة معنى الكلمة وهي مفردة، ومعناها في السياق مع مثيلاتها من الكلمات.
- ✓ معرفة بعض الشواهد اللغوية، والنحوية، والصرفية، والبلاغية وكذلك الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية وأصحابها. فقد حفظت لنا المعاجم كما هائلا من هذه الشواهد، ولولاها لماتت مع أصحابها الذين لم تجمع أشعارهم.
- ✓ جعل اللغة قادرة على مواكبة العلوم والفنون، وذلك بإطلاق أسماء على المخترعات الجديدة من مخزون اللغة اللفظي؛ مثل: كلمة حاسوب وكلمة مذياع، وكلمة هاتف، وطابعة وغيرها من الألفاظ الجديدة.
- ✓ المحافظة على سلامة اللغة وحمايتها من الاندثار، وتدوين اللغة العربية خشية ضياع شيئ من مفرداتها، لا سيما حياة فصحائها وكذا المحافظة عليها من دخول ما ليس من مفرداتها.
- ✓ المساهمة في فهم الآيات القرآنية[22]؛ حيث أن تفسير مفرداته يعين على معرفة معنى آياته، وذلك بمراجعة المؤلفات في غريب القرآن.
- ✓ المساهمة في معرفة كلّ القراءات القرآنية للكلمة القرآنية بأسهل الطرق، وهذا مانجده في المعجمات التي تختص بالقراءات القرآنية.
- ✓ تفسير الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عنه والآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى في كتب غريب الحديث.
- ✓ معرفة المراد بألفاظ بعض الفقهاء في المتون وربطها بالتعريفات الاصطلاحية عندهم، وذلك

في المؤلفات الخاصة بغريب ألفاظ الفقهاء أو لغة الفقه.

- ✓ فهم مفردات القصائد الشعرية الغريبة والفطع النثرية الغامضة
- ✓ ضبط الكلمات المعضلة بالشكل، ومعرفة نطقها الصحيح.
- ✓ تحديد بعض أماكن المواقع الجغرافيا والمدن التاريخية.
- ✓ اكتساب ثروة لغوية هائلة لا سيما عند تعدد مدلولات الكلمة واختلاف معانيها بحسب السياق.

وتجدر الإشارة إلى أن النشاط المعجميّ اتّسع بمختلف أشكاله في اللغة العربية في عصرنا الحاضر؛ فاتّسع على مستوى فردي، بجهود علماء ولغويّين ومتخصّصين أمثال المنجد والمعجم والقاموس، وعلى مستوى المؤسسات في الأقطار العربية، مثل مجامع اللغة العربية، ومراكز البحوث، والهيئات العلمية، والجامعات، وعلى مستوى قومي، مثل المنظمات العربية المتخصّصة، والاتحادات المهنية العربية.

وكل هذه المعاجم والهيئات والمؤسسات العلمية هدفها خدمة القرّاء وأعني بهم الطلاب والكتّاب والأساتذة والمحامين والصحفيين والخطباء والوعاظ وأمثالهم، وبعبارة أخرى أولئك الذين يستخدمون اللغة في الكلام والكتابة، ويَمُدُّهم بمعلومات لغوية عن الكلمات والتعبيرات وعن معانيها واستعمالاتها ومجالاتها، وكذا التفريق بين صحيحها وخطئها وأفصحها...

المطلب الثالث: تعريفه التفسير

للغويين في معنى التفسير أقوال طريفة ومتعددة، أورد بعضها السيوطي في كتابه الإتقان وكلها تلتقي في معنى الإيضاح والبيان والكشف[23]، وهذا ما سأُظهره في أقوال بعض العلماء الذين اهتموا بمثل هذه الدراسات.

فقد ذكر الليث عن الخليل بن أحمد أنه قال: " مأخذ التفسير من الفسر وهو البيان، قال والتفسرة اسم الماء الذي تنظر فيه الأطباء وتستدل به على مرض البدن، أو صحته وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو تفسيرته"[24].

وقال الأزهري: " الفَسْرُ كشفُ ما غُطِّيَ، وقال الليث الفَسْر التفسير وهو بيانٌ وتفصيلٌ للكتاب"[25].

ولم يخرج ابن منظور عن هذا المعنى بقوله: " الفَسْر البيان، فَسَرَ الشيء يَفْسِرُه بالكسر ويَفْسُرُه بالضم فَسْرًا وفَسَرَه أبانه والتفسير مثله"[26].

وزاد صاحب التعريفات معنى آخر للتفسير وهو الإظهار، قال: "التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار"[27].

فكلّ هذه التعاريف مجتمعة على أن معنى التفسير في اللغة الكشف البيان والإظهار والإيضاح؛ يقال سفرت المرأة سفورا؛ إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة وأسفر الصبح أضاء، وسافر فلان...

وإذا نحن تتبعنا أقوال العلماء الذين ركّزوا اهتماماتهم في علم التفسير، وجدناهم قد عرَّفوه بتعريفات كثيرة، يمكن إرجاعها كلها إلى واحد منها، فهي وإن كان مختلفة من جهة اللفظ، إلا أنها تكاد تكون متّحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه[28].

وسأكتفي بتعريف أبي حيان الأندلوسي في التفسير لأنه جامع مانع

عرّف أبو حيان الأندلسي علمَ التفسير بقوله: " علمٌ يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك"[29].

ثم خرَّج التعريف وشرحه شرحا مبسطا، فقال: " فقولنا: **«علم»** هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: **« يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن»** هذا هو علم القراءات، وقولنا: **« ومدلولاتها»** أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: **« وأحكامها الإفرادية والتركيبة»** هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: **« ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب»** يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل

على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يُحمل على الظاهر وهو المجاز، وقولنا: **«وتتمات لذلك»** هو معرفة النَسْخ وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن، ونحو ذلك"[30].

فالظاهر من هذا التعريف أن التفسير يجمع كل العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم من قراءات ورسم ونحو وصرف وبلاغة أسباب نزول وقصص وناسخ ومنسوخ وغيرها.

يُستخلص من هذا التعريف وغيره من أنها تتفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البَشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد، كما يمكن أن نستخَلص معنى مشترَكا- نوعا ما- بين هذه التعريفات والتعريف اللغوي يكشف عن حدّ التفسير ومفهومه، وهو أن التفسير علم شرح معاني القرآن الكريم وألفاظه وغرائبه معتمدا في ذلك على كل علم له علاقة بالقرآن الكريم؛ من أسباب نزول، وناسخ ومنشوخ وقراءات....

يبقى الإشارة إلى أن التفسير يطلق على تفسير القرآن وتفسير الحديث وتفسير الشعر وغيرها، ذكر الأزهري في شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه **«لبَّيك وسَعْديك والخير في يديك والشرّ ليس إليك»**[31] يقول: " وهذا خبر صحيح وحاجة أهل العلم إلى معرفة تفسيره ماسَّة فأما لبَّيك فهو مأخوذ من لَبَّ بالمكان وألَبَّ أي أقام به لَبّاً وإلباباً كأنه يقول أنا مقيم في طاعتك إقامة بعد إقامة ومجيب لك إجابة بعد إجابة"[32].

فبدأ الأزهري شرحه للحديث بأنه تفسير له، ولكن إذا أطلقنا لفظة التفسير بدون قيد لم يكن إلا القرآن الكريم.

فعلم التفسير – إذا أطلق – متعلق ببيان معاني نصوص القرآن الكريم والآيات القرآنية وعلى الرغم مما تقدم، نجد أن بعض العلماء من مفسرين ولغويين، قد استخدموا كلمة التفسير بمعناها اللغوي، وهو بيان الكلام وإيضاحه وشرحه، سواءً أكان الكلام أيةً قرآنيةً أم حديثاً نبوياً أم شعراً أم نثراً، فقد وردت هذه الكلمة بمعناها اللغوي في الكتب التي شرحت السنة النبوية،

وفي كتب الفقه وأصوله وغيرها، كما أنها استخدمت في كتب اللغة والأدب بهذا المعنى. فيقولون فسر الحديث بمعنى كذا، وأن هذا البيت تفسيره كذا وهذا هو تفسير هذه اللفظة...

المطلب الرابع: التأليف المعجمي حول موضوعات القرآن الكريم.

على الرغم من كثرة الدّراسات القرآنية، وتنوّع الأعمال المعجميّة التي أُلِّفت حول القرآن الكريم بقراءاته المخالفة، وتفسيره وكل موضوعاته، فقد بقي المجالُ مفتوحًا للأعمال المعجمية والتأليف المعجمي التي تُضاف إلى الدراسات السابقة، والتي تخدم القرآن الكريم من كل جوانبه.

ولعلّ أهم الأعمال المعجمية التي دارت حول ألفاظ القرآن الكريم وغريبه وموضوعاته وآياته وقراءاته، تندرج تحت الأنواع الآتية[33]:

أولا: معاجم الغريب: سواء منها ما رُتّب ألفبائيا، أو حسب السور والآيات، والمؤلفات في الغريب، أكثر من أن تُحصى؛ منها: «**تذكرة الأريب في تفسير الغريب**» للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، و«**المفردات في غريب القرآن**» للإمام أبي القاسم الأصبهاني، وكتاب «**التبيان في تفسير غريب القرآن**» لشهاب الدين أحمد المصري، وهو عبارة عن تفسير مختصر لألفاظ القرآن الكريم، بدءا من سورة الفاتحة إلى سورة الناس[34].

ثانيا: معاجم الألفاظ: مثل: « **معجم ألفاظ القرآن الكريم** » من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة[35]، و«**دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ** » ليحي عبد الفتاح الزواوي، وهو عبارة عن معجم يذكر الآيات المتشابهة في كل القرآن، ومن فوائده، كما يقول مؤلِّفُه، أنه يسهّل حفظ القرآن الكريم، ويَمنعُ الخلط بين الآيات القرآنية الكريمة[36].

ثالثا: المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم: والتي تخلو تمامًا من الدراسة، ولا تعدو في حقيقتها أن تكون قوائم بالكلمات القرآنية؛ مثل: « **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**» لمحمد فؤاد عبد الباقي؛ فقد قام عبد الباقي بفهرسة جميع ما في القرآن الكريم من كلمات تندرج في الفعل أو الاسم الصريح، وترك الأدوات والضمائر، وهو عبارة عن"جدول أبجدي لكل الكلمات الواردة في القرآن الكريم مع تحديد مكان ورودها"[37]. .

رابعا: المعاجم المفهرسة للأدوات والضمائر: والتي تعدّ تكملة للمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم السابق ذكره مثل: « **معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم**» الذي أعدّه الدكتوران: إسماعيل أحمد عمايرة، وعبد الحميد مصطفى السيد، وقد اقتصر هذا العمل كسابقه على الفهرسة.

خامسا: المعاجم التي تجمع بين النوعين السابقين: فتشمل هذه المعاجم الأفعال، والأسماء الصريحة، والأدوات والضمائر؛ مثل: « **قاموس الألفاظ القرآنية**» للدكتور حسين محمد الشافعي.

سادسا: المعاجم المفهرسة للقراءات القرآنية: ومن ذلك مثل «**معجم القراءات**» للدكتور عبد اللطيف الخطيب الذي ألّفه في أحد عشر مجلدا واستمرّ في تأليفه خمسة وعشرين سنة، ويضم القراءات القرآنية للفظة القرآنية مع عزوها إلى من قرأ بها من القراء السبع وغيرهم، ومع شرح يسير لبعض الألفاظ[38].

سابعا: المعاجم المفهرسة لآيات القرآن الكريم: مثل: «**الدليل الكامل لآيات القرآن الكريم**» للدكتور حسين محمد الشافعي، وكذا «**المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم**» لصاحبه محمد منير الدمشقي؛ حيث رتّبه ترتيبا ألفبائيا بالنسبة للحرف الأول للآية القرآنية، فيذكر السورةَ الموجودة فيها هذه الآية ورقم الآية والجزء، مع بيان مرجع معناها من تفسير «**روح المعاني**» العلامة أبي الفضل شهاب الدين الألوسي، وتفسير ابن جرير الطبري[39].

ثامنا: المعاجم المفهرسة لموضوعات القرآن الكريم: مثل: «**تبويب آي القرآن الكريم من الناحية الموضوعية**» لأحمد إبراهيم مهنّا، و«**المعجم الموضوعي للقرآن الكريم**» لحمزة النشرتي، وعبد الحفيظ فرغلي، وعبد الحميد مصطفى.

تاسعا: المعاجم الخاصة بأعلام القرآن الكريم: وتختصّ هذه المعاجم بذكر الأعلام الموجودة في القرآن الكريم؛ مثل: «**معجم أعلام القرآن**» للدكتور محمد التونجي.

عاشرا: المعاجم التي تجمع بين الأعلام والموضوعات: وقد جمعت هذه المعاجم بين النوعين السابقين؛ مثل: «**معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم**» للدكتور عبد الصبور مرزوق.

الحادي عشر: المعاجم التي تجمع بين الألفاظ والأعلام: مثل: «**معجم الألفاظ والأعلام القرآنية**» لمحمد إسماعيل إبراهيم؛ حيث اشتمل" هذا المعجم على ألفاظ القرآن الكريم، ورتبة هجائيا ومشروحة، وبيان عدد مرات ورود كل لفظ، والآيات التي وردت فيها، مع ذكر السور وأرقام الآيات، مع تعريف بما ورد في القرآن من أسماء الرجال والنساء والرجال والمواضع الجغرافية، ويرد الجميع بحسب الحرف الأول، وجعل لكل حرفٍ باباً خاصًا به"[40].

فهذه المعاجم وغيرها، وإن كانت متعلقةً بالقرآن الكريم من حيث فهرسة ألفاظه وذِكر متشابهه، إلاّ أن لها دورا في التفسير، خاصةً في البحث والتأليف؛ وذلك لأنها تساعد الباحث أو طالب العلم على توفير الوقت والجهد في البحث عن الكلمات المراد تفسيرها ومعرفة أوجه دلالاتها المختلفة.

المطلب الخامس: علاقة التفسير بالمعجم.

بعد الوقوف على تعريف كل من التفسير والمعجم تتضح العلاقة بينهما، فيوجد بينهما أوجه اختلاف كما ينطويان على بعض أوجه اتفاق؛ ومن أوجه اتفاق بينهما ما يلي:

أولا: أوجه الاتفاق

1. يتفق كل من التفسير والمعجم في كونهما يشتغلان على شرح الألفاظ، وبيان معانيها، إلاّ أنّ المعجم يجمع كل ألفاظ اللغة عامة، بينما المعجم يشتغل على ألفاظ القرآن الكريم التي هي جزء من ألفاظ اللغة. فقد عرّفه أحمد عمر مختار –كما قلت سابقا– بأنه: "كتاب يجمع كلمات لغة ما، ويشرحها، ويوضح معناها، ويرتبها بشكل معين"[41].

بينما عرّف التفسيرَ أبو حيان الأندلوسي بأنه: " علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك"[42].

ثم وضّح هذا التّعريف بقوله: " وقولنا: « **يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن** » هذا هو علم القراءات، وقولنا: « **ومدلولاتها**» أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم "[43] وقولنا: « **وأحكامها الإفرادية والتركيبة**» هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: «**ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب**» يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يُحمل على الظاهر وهو المجاز[44].

فكأنّ بين التفسير والمعجمِ خُصوصًا وعُمومًا؛ فالمعجم أعمّ من التّفسير من حيث الألفاظ والكلمات، ويمكن القول أن التّفسير أعمّ من المعجم من حيث اعتماد العلوم المختلفة كالناسخ والمنسوخ والقراءات القرآنية وأسباب النزول وغيرها.

2. كذلك يتفقان في وظيفة كل منهما؛ فالمفسِرّ وصاحب المعجم يعملان على تقديم المعلومات الصرفية والصوتية والنحوية والدلالية بالنسبة للفظ المراد شرحه وتبيان دلالاتِه.

ويمكن أن نُجمل أوجه الاختلاف بين التفسير والمعجم فيما يلي:

ثانيا: أوجه الاختلاف

1. تتميز كتب التفسير عن المعاجم بالاتساع في معاجة القضايا السابقة؛ فالمفسِّر يهتم يهذ القضايا للإحاطة بكل ما يتصل باللفظ القرآني، ويساعد على فهم معناه، ودراسة دلالات هذا اللفظ مع غيره من الألفاظ في سياق الآية أو السورة، بينما نجد المعجم يهتم باللفظ وأصله ودلالاته، ولكن نجد بعض المعجمات تعتني ببعض المعلومات الموسوعية الخارجة عن المعجم؛ مثل التهذيب ولسان العرب وتاج العروس.

2. يحمل التفسير في طيّاته الكثير من العلوم المتصلة به من علوم اللغة والإعراب وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والرسم القرآني، والفقه والحديث... بينما نجد أن المعجم قد يعتمد فقط على اللغة والاستشهاد بالشعر والنثر للاستشهاد بها.

3. لا يستغني التفسير عن المعجم؛ لأنه يمده بالمعلومات اللغوية والصرفية والصوتية والدلالية للفظة القرآنية، أما المعجم فقد يستغني عن التفسير بالكليّة.

4. يتّسم التفسير بالعمق في تحليل اللفظة القرآنية، ذلك أن التفسير علم متخصّص في الألفاظ القرآنية، والتخصّص في الشيء يؤدّي إلى العمق والتشعب والإحاطة بالجوانب المختلفة.

5. يشتغل التفسير على أعظم كلام وهو القرآن الكريم، بينما يشتغل المعجم على ألفاظ لغة ما، عربية كانت أو غيرها

6. يعتمد التفسير على الكثير من المناهج في تحليله للألفاظ القرآنية، وقد تطرقتُ لبعضها في هذا البحث، بينما نجد المعجم يعتمد على مناهج الألفاظ ومنهج المعاني وما يتشعّب عنهما.

المطلب السادس: أثر علم التفسير في المعاجم

يمكن القول أن الدراسات التفسيرية كان لها أثرٌ مهمٌ في حركة المعاجم العربية ويتمثل ذلك الأثر في ما يلي:

1. صدور توجيهات وتوصيات من كبار الصحابة والتابعين حركت جهود العلماء في تأليف المعاجم خاصة والعلوم الأخرى عامة؛ من ذلك قول عمر ابن الخطاب: " فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا وما ديواننا؟ قال" شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم"[45].

وقول ابن عباس: " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[46]، وروي عن مجاهد قوله: " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[47].

إن مثل هذه التوجيهات من هؤلاء الصحابة والتابعين وغيرهم حرّكت الجهودَ للبحث عن معاني الألفاظ، وفتحت الباب للبحث عن تفسير ما يشكُل منها، والاجتهاد في ذلك اعتمادا على لغة العرب وفهمها، كما أنها وجّهت الجهود والأنظار إلى ديوان العرب وهو الشعر.

كما أن هذه التوجيهات جعلت علم اللغة أساسا في فهم القرآن الكريم وأعطتها أهمية كبيرة، وعُوِّل عليها في مجال التفسير وفهم مراد الله تبارك وتعالى.

كل ذلك وغيره هيأ لوجود الدراسات المعجمية ونشطها وأعطاها دفعا قويا.

2. كما أن من ثمار الحركة التفسيرية كتبَ غريب القرآن الكريم كما ذكرتُ سابقا وهذه الكتب كانت البدايات الأولى للمعاجم العربية، فهي تتناول ألفاظا من القرآن الكريم وتفسر معانيها اللغوية، وهي نوع من الرسائل اللغوية المتخصصة، والتي كانت إرهاصات للمعجم العربي.

يقول عبد الكريم بكّار في هذا الصدد: " وتعدّ جهود ابن عباس في غريب القرآن الكريم ومشكله، وكانت بعض أساليبه البداية الحقيقية لتأسيس علم الدلالة اللغوية... وقد تطورت ملاحظات ابن عباس وتفسيراته للغريب والمشكل إلى ما عرف بتفسير غريب القرآن حيث وردت له المصنفات فيما بعد، ودعم ذلك في مرحلة تالية الرسائل المتخصصة في موضوعات معينة...وقد هيأ ذلك كله لولادة المعجم العربي على يد نابغة العرب الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175هـ)"[48].

3. من ثمار هذه الحركة أيضا كتب لغات القرآن، وهذه الحركة التي نشأت حول الألفاظ القرآنية ولغاتها حركت الجهود في البحث في لغات القبائل وعن اللغات الأعجمية، وتمييز الأصلي من الأعجمي وغيره، يقول حسين نصار: " وثار البحث عن لغات القبائل والمعرب منذ زمن قريب، بل إنه من أقدم البحوث اللغوية عند العرب؛ لأنه من الأبحاث الدائرة حول القرآن، فهو والبحث عن معاني الألفاظ القرآنية سيان، وكان الدافع إلى هذا البحث الآية الكريمة: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}[49]، والحديث الشريف الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الْقُرآنَ أُنزِلَ عَلىَ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[50].

فالدّراسات التفسيرية الأولى التي قامت حول القرآن الكريم كان لها أكبر الأثر في حركة المعاجم العربية؛ إذ إن أحد أوجه هذه الدراسات التفسيرية هو الدراسات اللغوية الأولى التي عرفها العرب، فقد نشأت أول حركة لغوية متزامنة مع التفسير مرتبطة به وعاملة من أجله، حتى إن المؤلفات أو الكتب التي خلفتها الدراسات التفسيرية تعد رسائل لغوية متخصصة، وهي البدايات الأولى للمعاجم العربية.

يظهر من تتبعنا لهذه الاختلافات العامة والجوهرية بين المعجم والتفسير، وللتأثيرات الموجودة بينهما، أن العلاقة بينهما تتخذ صورتين أساسيتين، هما:

الصورة الأولى: أن لا تكون أي علاقة بين المعجم والتفسير؛ أي أن المفسّر لا يستفيد من المعجم في أي حال من الأحوال؛ لا في شرح لآية، ولا في تحديد معنى، ولا في توضيح غموض في ألفاظ القرآن الكريم، فهذه الصورة تكون في التفسير بالمأثور؛ أي في تفسير القرآن بالقرآن الكريم، أو بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بأقوال الصحابة رضي الله عنهم فلا دخل للغة ولا للمعجم في هذه الصورة.

الصورة الثانية: أن يرتبط التفسير ارتباطا وثيقا بالمعجم، فيستفيد طالبُ التفسير والمتصفحُ للقرآن الكريم، والباحثُ عن معنى من معاني كلام الله تعالى من المعجم؛ وذلك في توجيه الدلالات الجديدة له، والتّرجيح بين المعاني المحتملة للآية الكريمة، وغير ذلك مما يؤثّر في التّفسير، وهذه الصورة نجدها بالتفسير بالرأي أو التفسير بالدراية؛ لأن المفسِّرَ هنا يُعْمِلُ عقلَه في فَهْمِ القرآن الكريم، والاستنباط منه مستخدماً آلات الاجتهاد التي من ضمنها اللغة والمعجم.

المطلب السابع: وجوه تأثير المعاجم في التّفسير.

بعدما رأينا آثار التفسير على المعاجم، سأتطرق في هذ المطلب إلى آثار المعجم في التفسير، وذلك أن المفسّر يستفيد من كتب المعاجم في تفسير القرآن الكريم وتبيان معانيه، من وجوه متعدّدة، أهمُّها:

المسألة الأولى: بيان معنى اللفظة القرآنية.

المسألة الثانية: توسيع دلالات الكلمة القرآنية.

المسألة الثالثة: إزالة الغموض والإشكالات من بعض الآيات القرآنية.

المسألة الرابعة: الترجيح بين الدلالات المحتملة للفظ القرآني.

ويمكن التمثيل لكل وجه من هذه الوجوه الأربعة، لتوضيح تأثير المعاجم في تفسير القرآن الكريم كما يلي:

المسألة الأولى: بيان معنى اللفظة القرآنية.

كثيرا ما نرجع إلى المعجم لاستخراج معنى اللفظة القرآنية وتحديد دلالاتها، وذلك بالرجوع إلى أصلها أو مصدرها ومشتقّاتها ولغات القبائل التي تتكلم بها وغيرها، وهذه المسألة هي الأصل في المعجم؛ والأمثلة على ذلك كثيرة، بل تكاد تكون في كل معجم، وفي كل تفسير؛ من ذلك مثلا لفظة (فضحكت) في قوله تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [51] معناها عند بعض المفسّرين حاضت، مأخوذة من قولهم ضحكت الأرنب أي حاضت[52]، ومنه قول الشاعر:

وضـــحك الأرانـــب فـــوق الصـــفا كمثـــل دم الجـــوف يـــوم اللقـــاء

وروى الأزهري عن سَلَمة عن الفَرّاء في تفسير هذه الآية: لما قال رُسُل الله جلّ وعزّ لِعبدِه وخَليله إبراهيم {لَا تَخَفْ} [53]ضَحِكَتْ عند ذلك امرأَتُه وكانت قائمة عليهم وهو قاعد فضَحِكت فبُشِّرَت بعد الضحِك بإسْحاق وإنما ضَحِكت سروراً بالأمن لأنها خَافت كما خاف إبراهيم [54].

فقد استعان المفسرون بما في المعجم من دلالات لتفسير الكثير من المفردات.

المسألة الثانية: توسيع دلالات الكلمة القرآنية.

التوسّع في المعنى هو أن يؤتى بتعبير يحتمل أكثر من معنى وتكون كل هذه المعاني مرادة[55]، وبفضل المعجم وكلام العرب وُجِدَ لبعض الألفاظ القرآنية العديد من الدلالات وكلها تحتملها

الآية التي حوت هذا اللفظ؛ من ذلك لفظة « **الإلّ**» في قوله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[56] والتي تعني في كلام العرب: الله تبارك وتعالى، وتعني العهد، وتعني كذلك الحلف والجوار والذمة والقرابة والنسب وكذا الحِرْبَة[57].

قال ابن عطية الأندلوسي في تفسير هذ اللفظ[58]: " يراد به الله عزّ وجلّ، وهو اسمه بالسريانية، ومن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع كلام مسيلمة، فقال: " هَذَا كَلاَمُ لَمْ يَخْرُجْ مِن إِلٍّ ولا بِرٍّ "[59].

وقد ردّ الأزهري هذا الوجه في تفسير الآية، وقال: " قال وهذا عندنا ليس بالوَجه لأن أسماء الله تعالى مَعْروفة، كما جاءت في القُرآن، وتُليت في الأَخبار، ولم نَسمع الدّاعي يقول في الدُّعاء: يا إلّ، كما يقول يا ألله ويا رحمان، قال وحقيقة الإلّ عندي على ما تُوجبه اللُّغة"[60].

ويجوز أن يراد به العهد، والعربُ تقول للعهد والخلق والجوار ونحو هذه المعاني إلاّ ومنه قول أبي جهل:

لإلّ علينـــا واجـــب لا نضـــيعه متـين فـواه غـير منتكـث الحبـل

ويجوز أن يراد به القرابة فإن القرابة في لغة العرب يقال له إلّ، ومنه قول ابن مقبل:

أفســد النــاس خلــوف خلفــوا قطعــوا الإل وأعــراق الــرحم

أي قطَّعوا الرحم، وقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لَعَمْــرُك إنّ إلَّــك مِــن قُــرَيْشٍ كــإلِّ السَّــقْبِ مِــن رَأْلِ النَّعــامِ

والإلّ جبل بمكة هو جبل عرفات[61].

قال الأزهري بعدما ذكر هذه الدلالات وغيرها: " ... فالإلّ يخرج في جميع ما فُسِّرَ مِنَ العهد والقرابة والجوار" [62].

وبيّن الطبري ذلك بقوله والإلّ اسم يشتمل على معان ثلاثة؛ وهي العهد والعقد والحلف والقرابة وهو أيضا بمعنى الله، فإذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصّ

مِن ذلك معنىً دون معنىً، فالصواب أن يعمّ ذلك كما عمَّ بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة فيقال لا يرقبون في مؤمن الله ولا قرابة ولا عهدا ولا ميثاقا"[63].

فالمعجم قدّم تفسيراتٍ متعددةً لمعنى الإلّ، وكل هذه التّفسيرات تحتملها الآية المباركة؛ فنقول لايرقبون فيكم، هؤلاء المشركون، اللهَ تبارك وتعالى ولا القرابةَ ولا النسبَ ولا العهدَ ولا الذمَّة ولا جوارا.

وهذه المسألة مبثوثة في كتب اللغة والتفسير، في احتمال المعاني التفسيرية، ما لم يكن بين هذه الدلالات تناقض أو تضاد، ولذلك قال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: {جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ }[64] "ولا مانع من حمل الآية على ما حَمَلَها عليه المفسِّرون، وما ذكرنا أيضاً أنه يفهم منها، لِمَا تقرَّر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلَّها صحيحةً، تعيّن حملُها على الجميع"[65].

فإن احتملت الآية المعاني العديدة فلا بأس بذلك، ما لم يُخش التناقض والالتباس.

المسألة الثالثة: إزالة الغموض والإشكالات من بعض الآيات القرآنية.

إذا عَرَضَ غُموضٌ في تفسير لفظة ما، كان الفيصل في إزالة هذا الغموض الرجوعُ إلى المعجم والبحث عن الدلالة التي توافق كلام العرب من هذه الآية الكريمة، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾[66] فلا يمكننا معرفة معنى هذه الآية إلاّ إذا عدنا إلى المعجم، وعَرَفنا معنى السّبب الذي هو الحبل، والسماء الذي هو السقف، ومعنى القطع الاختناق[67]، قال الشنقيطي في تفسير هذه الآية: " أي بحبل إلى السماء؛ أي سماء بيته، والمراد به السقف؛ لأن العرب تُسمّي كلَّ ما علاك سماء، والمعنى فليعقد رأس الحبل في خشبة السقف ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي ليختنق بالحبل، فيشده في عنقه ويتدلى مع الحبل المعلق في السقف حتى يموت، وإنما أطلق القطع على الاختناق لأن الاختناق يقطع النفس بسبب حبس مجاريه، ولذا قيل للبهر وهو تتابع النفس قطع فلينظر إذا اختنق ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ أي هل يذهب فعله ذلك ما يغيظه من نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة "[68].

ومعلوم أننا نأخذ تلك الدلالات من المعجم الذي أزال الالتباس الموجود في الآية الكريمة، فشرح لنا معنى السبب والسماء والقطع، وهو الحبل والسقف والاختناق.

المسألة الرابعة: الترجيح بين الدلالات المحتملة للفظ القرآني.

وهذا ما نجده عند الكثير من المفسرين؛ حيث يذكرون الآراء المختلفة للفظة، ثم يرجّحون المعنى الذي عليه المعجم أو كلام العرب، ونلمس هذا في القراءات القرآنية، ومن شروط القراءة الصحيحة موافقة وجها من وجوه اللغة العربية.

قال ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر" عند حديثه عن القراءة الصحيحة: " كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن"[69].

فالتفاضل بين القراءات تكون في الكلام العرب الموجود في المعجم، ومن الأمثلة على ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾[70]. فإن لفظة ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ قرئت بضم الياء وتشديد الشين، وقرئت بفتح الياء وضم الكاف وتخفيفها ﴿يَبْشُرُكَ﴾[71].

ورجّح الطبري القراءة الأولى فقال: " والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك ضم الياء وتشديد الشين بمعنى التبشير؛ لأن ذلك هي اللغة السّائرة والكلام المستفيض المعروف في الناس"[72].

فترجيح الطبري للقراءة الأولى مردُّه إلى اللغة وكلام العرب.

الخاتمة

نخلص في الأخير إلى أن هناك علاقةً وطيدةً بين التفسير والتأليف المعجمي عند العرب؛ ذلك أن كُلا منهما يحتاج إلى الآخر، ولا غنىً لأحدهما عن الآخر؛ كما أن التفسير بالمأثور لا يستغني عن

التفسير بالرأي، فالتفسير يستمدُّ دلالات ألفاظ القرآن الكريم من المعجم وهذا الأخير يستعين ببعض المعاني الشرعية من التفسير لتوسعة هذه المعاني والإكثار من تلك الدلالات.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

1. أبو الفتح عثمان ابن جني- الخصائص- تحقيق محمد علي النجار- لبنان- بيروت- عالم الكتب- ط3- 1403هـ/1982م .
2. أبو حسن علي بن سيدة - المحكم والمحيط الأعظم- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- لبنان- بيروت- دائرة الكتب العلمية - ط: 1- 1420هـ/ 2002م.
3. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي-ط: 1- 1422هـ/2002م.
4. أبو منصور الأزهري- تهذيب اللغة - تحقيق: عبد السلام هارون ومحمد علي النجار- مصر- القاهرة- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- ط: 1- 1384هـ /1964م.
5. أحمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- تحقيق: أنس مهرة- دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان- ط/1 -1419هـ/1999م.
6. أحمد بن عبد الله الباتلي- المعاجم العربية وطرق ترتيبها- المملكة العربية السعودية- الرياض- دار الراية للنشر والتوزيع- ط: 1-1412هـ/1992م.
7. أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة- تحقيق وضبط: عبد السَّلام محمد هَارُون- لبنان- بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- ط: 1- 1423هـ/2002م.
8. إسماعيل الجوهري- الصحاح ناج اللغة وصحاح العربية- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- لبنان- بيروت- دار العلم للملايين- ط: 4- 1990م.
9. ابن الجزري- النشر س القراءات العشر- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- د.ط- د.ت.
10. ابن حجر العسقلاني- فتح الباري- تحقيق: محب الدين الخطيب- لبنان- بيروت-دار المعرفة- د. ط- د ت.
11. عدنان الخطيب- المعجم العربي بين الماضي والحاضر- لبنان- بيروت- دار لبنان ناشرون- ط: 2- 1414هـ/1994م.
12. ابن سلام الهروي- غريب الحديث- تحقيق: د.محمد عبد المعيد خان- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط: 1- 1396هـ/1976م.
13. ابن عطية الأندلوسي- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية - ط: 1- 1413هـ/1993م.
14. ابن منظور- لسان العرب- لبنان - بيروت - دار إحياء التراث العربي- ط: 1- 1408هـ /1988م.

15. الجرجاني–التعريفات–تحقيق: إبراهيم الأبياري–لبنان– بيروت–دار الكتاب العربي–ط: 1 1405هـ/1985م.
16. الخليل بن أحمد الفراهيدي– العين– تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي– لبنان– بيروت– مؤسسة الإعلامي للمطبوعات– ط: 1– 1408/1988م.
17. الزمخشري– أساس البلاغة– لبنان– بيروت– دار الفكر للطباعة والنشر– ط: 1– 1399هـ /1979م
18. النووي– شرح النووي على صحيح مسلم– لبنان– بيروت– دار إحياء التراث العربي–ط: 3– 1392هـ/1972م.
19. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي– الإتقان في علوم القرآن– لبنان – بيروت– دار الفكر للطباعة والنشر– ط: 1– 1415هـ /1995م
20. شهاب الدين أحمد المصري– التبيان في تفسير غريب القرآن– تحقيق: فتحي أنور الدابلويد– مصر– طنطا– دار الصحابة للتراث– ط: 1–1412هـ/1992م.
21. شوقي ضيف– البحث الأدبي (طبيعته. مناهجه. أصوله. مصادره) – مصر– القاهرة– دار الراية– ط: 7– 1972م.
22. شوقي ضيف– مجمع اللغة العربية في خمسين عاما– جمهورية مصر العربية– مجمع اللغة العربية– ط: 1– 1404هـ/1984م.
23. عبد الكريم بن محمد بكار– ابن عباس مؤسس علوم اللغة – المملكة العربية السعودية– جدة– مكتبة السوادي–ط: 1–1411هـ/1999م.
24. عبد اللطيف الخطيب– معجم القراءات– سوريا– دمشق– دار سعد الدين للطباعة والنشر– ط: 1– 1422هـ/2002م.
25. محمد الرازي– مختار الصحاح– لبنان– بيروت– دائرة المعارف في مكتبة لبنان– د.ط– 1985م.
26. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي– القاموس المحيط– لبنان– بيروت– مؤسسة الرسالة– د.ط: 1– د.ت.
27. محمد بن جرير الطبري– جامع البيان في تأويل القرآن– تحقيق: أحمد محمد شاكر– لبنان– بيروت – مؤسسة الرسالة– ط: 1– 1420 هـ/ 2000م.
28. محمد حسين الذهبي– علم التفسير–مصر– القاهرة– دار المعرفة– د.ط– د.ت.
29. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي– تاج العروس من جواهر القاموس– لبنان– بيروت– دار صادر– ط: 1– 1306هـ1885م.
30. محمد منير الدمشقي– المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم– الجزائر– باتنة– دار التراث الإسلامي للنشر والتوزيع– د.ط– 1989م.
31. مختار الشنقيطي– أضواء البيان– لبنان – بيروت–دار الفكر للطباعة والنشر–د.ط– 1415هـ/1995م.
32. مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم– لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية– د.ط– د.ت.
33. يحي عبد الفتاح الزواوي– دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ في متشبهات القرآن الكريم– جمهورية مصر العربية– بور سعيد– مكتبة السنة – ط: 3– 1428هـ/2007م.

34.يسرى عبد الغاني عبد الله-معجم المعاجم العربية- لبنان- بيروت-دار الجيل-ط: 1-1411هـ/1991م.

الهوامش:

1- الأزهري- تهذيب اللغة-ح: 1-ص: 390. ومحمّد الزَّبيدي- تاج العروس -ج: 1- ص: 7811.

2- رواه مالك في الموطأ ومسلم والنسائي. والعجماء بالمد هي كل الحيوان سوى الآدمي وسميت البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم والجبار بضم الجيم وتخفيف الباء الهدر. ينظر: النووي- شرح النووي على صحيح مسلم- لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي-ط: 3- 1392هـ/1972م-ج: 11- ص: 225. وابن عبد البر- التمهيد-ج: 7- ص: 19.

3- ينظر: ابن حجر - فتح الباري- ج: 19- ص: 367- والباجي- المنتقى- ج: 4 - ص: 48

4- ينظر: أبو عثمان ابن جني - الخصائص- ج: 3 - ص: 75.

5- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي- معجم العين- ج: 1 ص: 237- 238 وابن منظور- لسان العرب- ج: 12 - ص: 385.

6- أبو عثمان ابن جني - سر صناعة الإعراب- ج: 1- ص: 37.

7- سورة طه - الآية: 15.

8- ينظر: أبو محمود الزمخشري - الكشاف- ج: 3 - ص: 58.

9- أبو عثمان ابن جني - سر صناعة الإعراب- ج: 1- ص: 40/39.

10 - إسماعيل الجوهري- الصحاح ناج اللغة وصحاح العربية- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- لبنان- بيروت- دار العلم للملايين- ط: 4- 1990م- ج: 1- ص: 38. وينظر: أحمد بن عبد الله الباتلي- المعاجم العربية وطرق ترتيبها- المملكة العربية السعودية- الرياض- دار الراية للنشر والتوزيع- ط: 1- 1412هـ/1992م- ص: 13.

11 - د. عدنان الخطيب- المعجم العربي بين الماضي والحاضر- لبنان- بيروت- دار لبنان ناشرون- ط: 2- 1414هـ/1994م-: ص: 39.

12 - من ذلك معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.

13 - كمعجم المقاييس لابن فارس.

14 - كالصحاح للجوهري.

15 - كمعجم النخل والنخيل للأصمعي.

16 - الأزهري - تهذيب اللغة- ج: 1 - ص: 4.

17 – جلال الدين السيوطي– الإتقان غي علوم القرآن– ص: 727.

18– ابن منظور– لسان العرب– ج: 1 – ص: 12.

19– المصدر نفسه– ج: 1 – ص: 13.

20– ينظر: أحمد بن عبد الله الباتلي– المعاجم العربية وطرق ترتيبها– ص: 14/13.

21– ينظر: د.شوقي ضيف– البحث الأدبي (طبيعته. مناهجه. أصوله. مصادره) – مصر– القاهرة– دار الراية– ط: 7–1972م– ص: 13.

22– ينظر: يسرى عبد الغاني عبد الله– معجم المعاجم العربية – لبنان– بيروت– دار الجيل– ط: 1– 1411هـ/1991م–ص: 27.

23 – ينظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي– الإتقان في علوم القرآن– لبنان – بيروت– دار الفكر للطباعة والنشر– ط: 1– 1415هـ /1995م– ج: 2– ص: 461/460. ومحمد مرتضى الحسيني الزبيدي– تاج العروس من جواهر القاموس– لبنان– بيروت– دار صادر– ط: 1– 1306هـ1885م– ج: 13– ص: 323. ومحمد الرازي– مختار الصحاح– لبنان– بيروت– دائرة المعارف في مكتبة لبنان– د.ط– 1985م– ج: 1– ص: 211.و الزمخشري– أساس البلاغة– لبنان– بيروت– دار الفكر للطباعة والنشر– ط: 1– 1399هـ /1979م– ص: 473. ومحمد بن يعقوب الفيروز أبادي– القاموس المحيط– لبنان– بيروت– مؤسسة الرسالة– د.ط: 1– د.ت– ص: 587. أحمد بن فارس– معجم مقاييس اللغة– تحقيق وضبط: عبد السَّلام محمد هَارُون– لبنان– بيروت– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– ط: 1– 1423هـ/2002م– ج: 4– ص: 402.

24 – ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي– العين– تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي– لبنان– بيروت– مؤسسة الإعلامي للمطبوعات– ط: 1– 1408/1988م–ج: 7– ص: 248/247. وأبو حسن علي بن سيدة – المحكم والمحيط الأعظم– تحقيق: عبد الحميد هنداوي– لبنان– بيروت– دائرة الكتب العلمية – ط: 1– 1420هـ/ 2002م– ج: 8– ص: 480.

25 – الأزهري– تهذيب اللغة– ج: 12– ص: 282

26 – ابن منظور– لسان العرب– لبنان – بيروت – دار إحياء التراث العربي– ط: 1– 1408هـ /1988م–ج: 58– ص: 55.

27– الجرجاني– التعريفات– تحقيق: إبراهيم الأبياري – لبنان– بيروت– دار الكتاب العربي– ط: 1– 1405هـ/1985م–ج: 1– ص: 87.

28 – ينظر: د.محمد حسين الذهبي– علم التفسير–مصر– القاهرة– دار المعرفة– د.ط– د.ت– ص: 6.

29 –أبو حيان الأندلسي– البحر المحيط– تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض– لبنان– بيروت– دار الكتاب العربي–ط: 1– 1422هـ/2002م– ج: 1– ص: 212.

30 – المصدر نفسه– الجزء والصفحة.

31 – مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم– لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية– د.ط– د.ت ج: 1– ص: 535.

32 – الأزهري– تهذيب اللغة– ج: 1– ص: 43.

33– ينظر: أحمد بن عبد الله الباتلي– المعاجم العربية وطرق ترتيبها– ص: 31/27. ويسرى عبد الغاني عبد الله– معجم المعاجم العربية – ص: 50/41.

34– ينظر: شهاب الدين أحمد المصري– التبيان في تفسير غريب القرآن– تحقيق: فتحي أنور الدابلويد– مصر – طنطا– دار الصحابة للتراث– ط: 1–1412هـ/1992م– ص: 65.

35– ينظر: د.شوقي ضيف– مجمع اللغة العربية في خمسين عاما– جمهورية مصر العربية– مجمع اللغة العربية– ط: 1– 1404هـ/1984م– ص: 148–151.

36– ينظر: يحي عبد الفتاح الزواوي– دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ في متشابهات القرآن الكريم– جمهورية مصر العربية– بور سعيد– مكتبة السنة – ط: 3– 1428هـ/2007م– ص: 27.

37– يسرى عبد الغاني عبد الله– معجم المعاجم العربية – ص: 50.

38– ينظر: د.عبد اللطيف الخطيب– معجم القراءات– سوريا– دمشق– دار سعد الدين للطباعة والنشر– ط: 1– 1422هـ/2002– ج: 1– ص: 9.

39– ينظر: محمد منير الدمشقي– المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم– الجزائر– باتنة– دار التراث الإسلامي للنشر والتوزيع– د.ط– 1989م– ص: 2.

40– أحمد بن عبد الله الباتلي– المعاجم العربية وطرق ترتيبها– ص: 31.

41 – أحمد عمر مختار– مقدمة الصحاح – ص: 38.

42 – أبو حيان الأندلسي– البحر المحيط– ج: 1– ص: 212.

43 – المصدر نفسه – الجزء والصفحة.

44 – المصدر نفسه– الجزء والصفحة.

45– القرطبي– الجامع لأحكام القرآن– ج: 10– ص: 111.

46– الزركشي – البرهان في علوم القرآن– ج: 1– ص: 293.

47– السيوطي– الإتقان في علوم القرآن – ج: 3– ص: 477.

48– عبد الكريم بن محمد بكار– ابن عباس مؤسس علوم اللغة – المملكة العربية السعودية– جدة– مكتبة السوادي–ط: 1–1411هـ/1999م– ص: 59.

49– سورة الزخرف– الآية: 3 .

50– البخاري– صحيح البخاري–ج: 4–ص: 1923.

51- سورة هود – الآية: 71.

52- ينظر: أبو الحسن ابن سيدة- المحكم والمحيط الأعظم- ج: 3- ص: 33.

53- سورة هود – الآية: 70.

54- الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 4- ص: 56.

55- فاضل صالح السامراء- من أسرار البيان في التعبير القرآني- ص: 61.

56- سورة التوبة – الآية: 10.

57- الخليل بن أحمد الفراهيدي- العين- ج: 8- ص: 360/361. محمد الشنقيطي- أضواء البيان-ج: 4- ص: 287.

58- ابن عطية الأندلوسي- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية – ط: 1- 1413هـ/1993م –ج: 3- ص: 10.

59- ابن سلام الهروي- غريب الحديث- تحقيق: د.محمد عبد المعيد خان- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط: 1- 1396هـ/1976م –ج: 3- ص: 10.

60- الأزهري- تهذيب اللغة-ح: 15- ص: 312.

61- الخليل بن أحمد الفراهيدي- العين- ج: 8- ص: 361.

62- الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 15- ص: 312. وابن منظور- لسان العرب- ج: 1- ص: 100.

63- ابن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن –ج: 10- ص: 85.

64- سورة ص- الآية: 11.

65- محمد أمين الشنقيطي- أضواء البيان-ج: 2- ص: 258.

66- سورة الحج – الآية: 15.

67- ينظر: الأزهري- تهذيب اللغة-ج: 1- ص: 129.

68- محمد أمين الشنقيطي- أضواء البيان-ج: 4- ص: 287.

69 – ابن الجزري- النشر س القراءات العشر- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- د.ط- د.ت –ج: 1- ص: 9.

70- سورة آل عمران – الآية: 39.

71 –ينظر: أحمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- تحقيق: أنس مهرة- دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان- ط/1 –1419هـ/1999م- ص: 10/9.

72- ابن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن –ج: 3- ص: 251.